تصور المريد للولي

..... يذكر لنا بعض الإخوة أن عندهم مثل هذا الولي، إذا تزوج أحد بامرأة؛ فإن عليه قبل أن يدخل بها أن يرسل بها إلى ذلك الولي، وتبيت معه ليلة مع الولي، ويطؤها ذلك الولي ليزيل بكارتها!! قبل أن يدخل بها زوجها؛ ليحصل بذلك الزوج على البركة!! يتبرك بأن مسها الولي قبله!! يُشَاهَدُ هذا في كثير من الذين يدعون أنهم على طريقة أهل السر والولاية. فالإله عندهم -عند أهل زمان المؤلف- هو الولي الذي فيه هذا السر؛ سواء كان حيا أو ميتا، ففي حياته يَتَبَرَّكون به، ويتمسحون به، فيقولون: يا ولي الله! ادع لنا.. يا ولي الله! خذ بأيدينا.. أعطنا، هَبْ لنا..!! وقد لا يكون مسلما حقا؛ فإن كثيرا منهم -من هؤلاء- لا يصلون.. لماذا؟! يقولون: سقطت عنهم التكاليف!! ذكروا أن أحدهم -أحد هؤلاء السادة- الذين يسمونهم سادة، وأولياء، وأصحاب سر، دخل المسجد يوم الجمعة، والناس يُصَلُّون؛ فبال في المسجد، ثم خرج، ولم يُصَلِّ؛ فتبعوه، وقالوا: هذا ولي!! هذا من الأولياء، هذا قد وصل، وصل إلى الرتبة العالية! لما أنكر بعض العامة عليهم، أو أنكر عليه، قال له خَوَاصُّهُمْ: هذا قد وصل، الشأن فِيَّ وفيك، نحن الذين لا نزال بعيدين!! أما هذا الذي وصل إلى هذه الرتبة؛ فإنه ولي من أولياء الله. ثم يذكرون أن من خواص الولي إذا مات، ووضع على النعش فإنه من خَوَاصِّهِ -في نظرهم- أن الملائكة تحمله!! يوضع على الأكتاف ويقولون: إننا لا نحس بثقله.. حملته عنا الملائكة! يخيلون إلى أتباعهم أنهم لم يحملوه!! وهذا كله خيال؛ حتى يوهموهم أن هذا من أهل السر، ومن أهل الولاية، ثم بعد دفنه.. لا شك أنهم يعبدونه، ويَدْعُونه، ويصرفون له خالص حق الله، وإن لم يُسَمُّوه إلها، وإنما يسمونه وَلِيًّا، أو صاحب سِرٍّ. ثم أصحاب هذا السر يَدَّعُون أنهم -هم وأتباعهم- مستغنون عن اتِّبَاع القرآن، وعن اتباع النبي -صلى الله عليه وسلم- وأن لهم أحوالا.. هذه الأحوال هي التي أوصلتهم إلى الرفيق الأعلى؛ حتى لا يَقْبلوا كلام الله، ولا كلام الصحابة، ولا الأحاديث النبوية؛ وإنما يأخذون أسرارهم -في نظرهم-. وفي الأبيات المشهورة التي ذكرها ابن الْقَيِّم في "إغاثة اللهفان" ذكر قصيدة، أول ما يذكر منها قوله: ذهب الرجال, وجال دون مجالهم زُورٌ من الأوباش والْأَنْذَالِ زالوا بأنهمُ على آثارهم ساروا .. ولكن سيرةَ الْبَطَّالِ! إلى أن قال: إن قلتَ: قال الله, قال رسوله همزوك همز المنكر المتغالي أو قلت: قد قال الصحابة, والذي تبعوهمُ في القول, والأفعال أو قلت: قال الآل آل المصطفى صلى عليه الله أفضل آلِ أو قلت: قال الشافعي و مالكٌ و أبو حنيفة والإمام العالي أو قلت: قال صحابهم مِنْ بعدهم فالكل عندهم كشبه خيالِ ما يقبلون شيئا من العلوم المأثورة، ثم قال: ويقول: قلبي قال لي عن سره عن سِرِّ سري, عن صفا أحوالي! عن حضرتي عن فكرتي عن خلوتي عن شاهدي عن واردي عن حالي! عن صفو وقتي, عن حقيقة مشهدي عن سِرِّ ذاتي, عن صفات فعالي دَعْوَى إذا حققتها ألفيتَها ألقاب زور لُفِّقَتْ بمحالِ! هذه حالتهم: قلبي قال لي عن سره!! حدثني قلبي عن ربي!! فأصحاب السر، وأصحاب الولاية غلا فيهم العامة، وسموهم أولياء، وصرفوا لهم خالص حَقِّ الله؛ ولكنهم ما تجرءوا على تسميته آلهة؛ بل سموهم أولياء وسادة، وسموهم أصحاب سر. هذا هو الإله عندهم. حقيقة الإله: التأله. هو ما تفعلونه مع هؤلاء الذين سميتموهم أصحاب سر، الذي يقول أحدهم: حدثني قلبي عن ربي: ويقول: قلبي قال لي عن سره عن سِرِّ سري, عن صفا أحوالي! فمثل هؤلاء كثروا في الأزمنة المتأخرة، ولما كثروا وصار لهم أتباع، صار أتباعهم يصرفون لهم العبادة من دون الله. هذا في هؤلاء الذين سموهم أولياء.